يستخدم ذلك الوادي لهذا الغرض في المستقبل ولكن يستصوب الآن نظرًا الى موقعهِ ان يترك حتى تضطر الحال الى استحياء البحيرات التي تتاخم الدلتا شمالاً وزرعها في مستقبل الزمان وارجح ان تبنى خزانات تسع الاربعة آلاف مليون المشار اليها في وادي النيل بين الشلال الثاني والسادس . ولا يمكن الجزم بهذا الامر قبلما يتم مسح الشلالات على انهُ لو امكن بناء تلك الخزانات ما امكن ان تملأ ماء ما لم يزد الماء الذي يجري في النيل شتاء من الجنوب زيادة عظيمة . والمسألولون عن الري في مصر يعلمون علم اليقين انهُ اذا أُعلي الخزان كما هو في النية أمكن ان يخزن فيهِ الف مليون آخر فقط من الماء في الاحوال الحاضرة وفي سنة فيضانها قليل . واذا تمَّ ذلك لحق بالملاحة بين مصر واصوان ضرر عظيم مدة الشتاء . فلا غنى اذًا لوجود الماء المطلوب عن اكتشاف طريقة لزيادة الماء في اعالي النيل مدة الشتاء والربيع واوائل الصيف

ستأتي البقية

الاحتضارات والقبريَّات

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرس آداب اللغة العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة (لبنان)

ولما حضرت النبي الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاهُ قولي اذا متُّ "إنَّا لله وإنَّا اليهِ راجعون فان لكل انسان مصيبةً معوَّضة" — قالت ومنك يا رسول الله . قال "ومني" ويروى انهُ لما تراكدت[1] عليهِ كُرَب الموت وفاطمة بين يديهِ رفع رأسهُ وقال "واكرباهُ" فبكت فاطمة وقالت — واكرباهُ لكربكِ يا أبتاهُ — قال : "لا كرب على ابيكِ بعد اليوم" وتوفي سنة ١١ هـ (٦٣٢ م)

وروي أن أبا بكر حين حضرتهُ الوفاة كتب عهدهُ وبعث بهِ مع عثمان بن عفان ورجل من الانصار ليقرأهُ على الناس . فلما اجتمع الناس قاما فقالا : هذا عهد ابي بكر فان تقرُّوا بهِ نقرأهُ وان تنكروهُ نرجعهُ فقال : "بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد ابي بكر بن ابي قحافة عند آخر عهدهِ بالدنيا خارجًا منها واوَّل عهدهِ بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ويشفق الفاجر ويصدق الكاذب اني امرتُ عليكم عمر بن الخطَّاب فان عدل واتَّقى فذاك ظني بهِ ورجائي فيهِ وان بدَّل وغيَّر فالخيرَ اردتُ ولا يعلم الغيب الاَّ الله اه" توفي سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م)

(١) لعلها بمعنى تتابعت او سكنت

ولما احتُضر عمر بن الخطاب قال لولده عبدالله " ضع خدّي على الأرض علّ ربي ان يتعطّف عليّ ويرحمني " ثم لفظ أنفاسهُ بعد قليل سنة ٢٤ هـ (٦٤٤ م)

ولما عاين عثمان بن عفان القتل وايقن به كتب الى عليّ بن ابي طالب " اما بعد يا أبا الحسن فقد بلغ السيل الزُبى[1] وجاوز الحزام الطبيين[2] فاذا أتاك كتابي فأقبل اليّ عليّ كنت ام لي ثم تمثل ببيت العدوي وهو :

فان كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلٍ وإلاّ فادركني ولمّا أُمزّقِ

توفي سنة ٣٥ هـ ٦٥٥ م

ولما احتُضر سلمان الفارسيّ تحسّر عند موته فقيل لهُ علامَ تأسّفك يا أبا عبد الله قال ليس تأسفي على الدنيا ولكنّ رسول الله عهد الينا وقال ليكن بُلغة أحدكم كزاد الراكب وأخاف أن نكون جاوزنا أمرَهُ وحولي هذه الاشياء وأشار الى ما يليهِ واذا هو سيف ودست وجفنة ثم اسلم الروح سنة ٣٦ هـ (٦٥٦ م)

وروي ان الامام علي بن ابي طالب بعد ما ضربهُ ابن ملجم شهق شهقةً بعد ان أُغمي عليهِ ثم افاق ودعا ولديهِ الحسن والحسين وقال : " أُوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأسفا على شيء فاتكما منها فانكما عنها راحلان . افعلا الخير وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً " — ثم دعا محمداً ولدهُ وقال لهُ :" اما سمعتَ ما اوصيتُ بهِ اخويك " — قال : بلى — قال " فاني أُوصيك بهِ وعليك ببرّ[3] اخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امراً دونهما " — ثم اقبل عليهما وقال : " أُوصيكما بهِ خيراً فانهُ اخوكما وابن ابيكما وانتما تعلمان انّ اباهُ كان يحبهُ فاحباهُ " — ثم قال : " يا بنيّ أُوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضى والغضب والقصد[4] في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدوّ والعمل في النشاط والكسل والرضى عن الله في الشدّة والرخاء

يا بنيّ ما شرٌّ بعدهُ الجنة بشرّ ولا خيرٌ بعدهُ النار بخير . وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية . يا بنيّ من ابصر عيب نفسهِ اشتغل عن عيب غيرهِ . ومن رضي بما قسم الله لهُ لم يحزن على ما فاتهُ . ومن سلّ سيف البغي قتل بهِ ومن حفر لاخيهِ بئراً أُوقع فيها ومن هتك حجاب اخيهِ هُتكت عورات بيتهِ . ومن نسي خطيئتهُ استعظم خطيئة غيرهِ ومن

(١) جمع الزبية وهي الرابية لا يعلوها ماء ويروى الربى (٢) مثنى الطبي وهي حلمات الضرع والعبارتان مثلٌ بمعنى اشتداد الامر وتفاقمهِ (٣) بمعنى اكرام من برّ والديهِ اذا اكرمهما وضدّهُ عقهما

(٤) بمعنى الاقتصاد والتوفير ولا تخفى بلاغة هذه الفقرات فانها من جوامع الكلم

أعجب برأيهِ ضلّ . ومَن استغنى بعقلهِ زلّ . ومن تكبر على الناس ذلّ . ومن خالط الاذناذل احتقر . ومن دخل مداخل السوء اتُّهم . ومن جالس العلماء وقر . ومن مزح استُخِفَّ بهِ . ومن أكثر من شيءٍ عُرف بهِ . ومن كثر كلامهُ كثر خطؤهُ . ومن كثر خطؤهُ قلّ حياؤهُ . ومن قلّ حياؤهُ قلّ ورعهُ . ومن قلّ ورعهُ مات قلبهُ . ومن مات قلبهُ دخل النار

يا بنيَّ الادب ميزان الرجل . وحسن الخُلق خير قرين . يا بنيَّ العافية عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت إلاَّ ذكر الله تعالى وواحدٌ في ترك مجالسة السفهاء . يا بني زينة الفقر الصبر . وزينة الغنى الشكر . يا بنيَّ لا شرف أعلى من الإسلام ولا كرم أعز من التقوى . ولا شفيع انجح من التوبة . ولا لباس اجمل من العافية . يا بنيَّ الحرص مفتاح التعب ومطيَّة النَّصَب[1] توفي سنة ٤٠ هـ ٦٦٠ م

ودنا اجل الحسن بن علي وهو يكثر الاسترجاع[2] فقال لهُ ابنهُ " امثلك يسترجع على الدنيا " — قال : " يا بني ما استرجع الاَّ على نفسي التي لم أُصب بمثلها قط " توفي سنة ٥٠ هـ ٦٧٠ م

ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال لهُ ابنهُ : " يا ابتاهُ انك كنت تقول لنا " ليتني كنتُ القى رجلاً عاقلاً لبيباً عند نزول الموت بهِ حتى يصف لي ما يجد " وانت ذلك الرجل فصف لي الموت فقال : " يا بنيَّ والله كأنَّ السماء قد أطبقت على الارض وكأنَّ جنبيَّ في تخت وكأني اتنفس من سمِّ[3] إبرة وكأنَّ غصن الشوك يجذب من قدمي الى هامتي " ثم انشأ يقول :

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال ارعى الوعولا

ويروى انهُ دعا بغلٍّ وقيد وقال ألبسوني اياها فاني سمعت رسول الله يقول ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر[4] ابن آدم بنفسهِ ثم استقبل القبلة وقال : " اللهم انك امرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ[5] بك فان تعفُ فانت اهل العفو وان تعاقب فيما قدَّمت يداي لا إله الاَّ انت سبحانك اني كنت من الظالمين " ثم مات وهو مغلول مقيد . فبلغ ذلك الحسن ابن علي بن ابي طالب فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعهُ

ويروى انهُ جمع بنيهِ فقال " يا بنيَّ ما تغنون عني من امر الله شيئاً " — قالوا : " يا أبتي

---

(١) بمعنى التعب (٢) استرجع قال انا لله وانا اليه راجعون (٣) ثقب (٤) يغرغر يجود بنفسه عند الموت (٥) الملتجئ

انهُ الموت ولو كان غيرهُ لوقيناك بانفسنا " — فقال : اسندوني فاسندوهُ — ثم قال : " اللهمَّ انك امرتني فلم آتمر وزجرتني فلم ازدجر اللهمَّ لاقويَّ فانتصر ولا بريٌّ فاعتذر ولا مستكبر بل مستغفر استغفرك واتوب اليك لا اله الاَّ انت سبحانك اني كنتُ من الظالمين" فلم يزل يكرّرها حتى مات

ولما احتضر ابو هريرة عبد الرحمن بن صخر الاَّزدي الحافظ الكبير بكى فسئل عن ذلك فقال " ابكي على بعد سفري وقلة زادي واني اصبحتُ على مهبط جنةٍ او نار لا ادري ايهما يأخذ بي " ثم قضى نحبهُ سنة ٥٩ هـ ٦٧٨ م

ولما حانت وفاة سعيد بن العاص القرشيّ الصحابيّ قال لبنيهِ : " ايكم يقبل وصيتي — قال الاكبر أنا — قال انَّ فيها وفاء ديني — قال وما هو . قال : ثمانون الف دينار . قال وفيمَ اخذتها . قال " في كريم سددتُ خلّتهُ[1] وفي رجل جاءني ودمهُ يتروّى[2] في وجههِ من الحياء فبدأتهُ بحاجتهِ قبل سؤالهِ " ثم استأثرت بهِ رحمة ربهِ سنة ٥٩ هـ ٦٧٨ م

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا بخوة وهمة قيل لهُ في مرضهِ ان المريض يستريح الى الاَّنين والى شرح ما بهِ الى الطبيب فقال : " اما الاَّنين فهو جزع[3] وعار . والله لا يسمع مني انيناً فأكون عندهُ جزوعاً . واما وصف ما بي الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي ان شاء الله امسكها وان شاء قبضها " وعُوجل الى رحمة ربهِ

ولما أُصيب الربيع بن خيثم الزاهد بالفالج قيل لهُ : لمَ تتداوى فقال : قد علمت ان لي الدواء شفاء ولكن عن قريبٍ لا يبقى المداوي ولا المداوَى ثم توفي سنة ٦٧ هـ ٦٨٦ م

وقال الطرمّاح بن حكيم يرثي نفسهُ (توفي سنة ٦٨ هـ ٦٨٧ م)

فيا ربِّ لا تجعل وفاتيَ إنْ أتت ... على شرجعٍ[4] يُعلى بدكن[5] المطارفِ[6]
ولكن أجرّ يومي شهيداً وعصبةٌ ... يصابون في فجٍّ من الارض خائفِ
اذا فارقوا دنياهمُ فارقوا الاذى ... وصاروا الى موعود ما في الصحائفِ
فأُقتل قصعاً[7] ثمَّ يُرمى باعظمي ... مفرّقةً اوصالها سيفي التنائفِ[8]
ويصبح لحمي بين طيرٍ معيلةٍ[9] ... دوين السماء في نسورٍ عواجفِ[10]

---

(١) فقرهُ وحاجتهُ (٢) لعلها يتراءى (٣) الجزع ضدّ الصبر (٤) نعش (٥) جمع ادكن وهو المائل الى السواد (٦) الاثواب المعلمة و يريد الاكفان والاغشية السود (٧) من قصع الجرح بالدم شرق بهِ وامتلأ اي قتلاً ولعلهُ يريد القتل السريع (٨) الفلوات جمع تنوفة (٩) مكفية بهِ او حريصة عليهِ ومفتقرة اليهِ او ذات فراخ كثيرة (١٠) مهزولة

ولما احتضر معاوية بن ابي سفيان قال —

ألا ليتني لم أُعنَ[1] في الملك ساعةً ولم أَلهُ في اللذات أعشى السواطرِ
وكنتُ كذي طِمرَين[2] عاش بُلغةٍ[3] لياليَ حتى زار ضنك المقابرِ

ويُروى انهُ قال —

ان تعذّبْ يكن عذابك يا ربِّ غراماً لا طاقة بالعذابِ
او تجاوز فانت ربٌّ عفوٌّ عن مسيءٍ ذنوبهُ كالترابِ

وقيل وفد الناس يعددونهُ فقال لاهلهِ " مهّدوا لي فراشاً واسندوني واوسعوا رأسي دهاناً ثم اكحلوا عينيَّ بالاثمد[4] ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلّموا عليَّ قياماً ولا تجلسوا عندي احداً " ففعلوا ذلك . ولما دنا منهُ الموت تمثل بهذا البيت :

هو الموت لا منجى من الموت والذي نحاذر بعد الموت ادهى وافظعُ

ثم رفع يديهِ وقال : " اللهمَّ اقل[5] العثرة واعفُ عن الزلة وعد بحكمك على من لم يرجُ غيرك ولا يثق الاَّ بك فانك واسع المغفرة وليس لذي خطيئةٍ منك مهرب " ثم اسلم الروح . توفي سنة ٦١ هـ ٦٨٠ م

ولما دنت ساعة معاوية بن يزيد قيل لهُ " لو عهدت الى رجل من اهل بيتك واستخلفت خليفةً " قال " لم انتفع بها حيًّا فلا اقلدها ميتاً لا يذهب بنو امية بحلاوتها وتجرّع[6] مرارتها ولكن اذا متُّ فليصلِّ عليَّ الوليد بن عقبة . وليصلِّ بالناس الضحّاك بن قيس حتى يختار الناس لانفسهم " وتوفي سنة ٦٤ هـ ٦٨٣ م

ودخل ابو سهل الساعدي على جميل بُثَيْنَة ويوجههِ آثار الموت فقال لهُ " يا ابا سهل ان رجلاً يلقى الله ولم يسفك دماً ولم يشرب خمراً ولم يأتِ فاحشة أفترجو لهُ الجنة " — قال الساعدي " اي والله فمن هو " — قال جميل " اني لأرجو ان اكون ذلك " — فذكر الساعدي لهُ بُثَيْنة . فقال جميل : " اني لفي آخر يوم من الدنيا واول يوم من الآخرة لا تالتني شفاعة محمد ان كنتُ حدّثتُ نفسي بريبةٍ قطُّ "

ولما شعر جميل بقرب الساعة دعا صديقاً لهُ وعاهدهُ على ان يتم وصاتهُ وهي : " اذا انا

(١) اتعب واشقى (٢) الثوب البالي (٣) اكتفاف من العيش او ما يسدّ به الرمق (٤) الكحل (٥) اقال عثرته انهضهُ من سقطتهِ (٦) اشرب وأسقى

متُّ فخذ حلّتي هذه التي في عيبتي [١] فاغزلها جانبًا ثم كلّ شيء سواها لك وارحل الى رهط بني الأحبّ من عذرة وهم رهط بثينة فاذا صرت اليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعلُ على شرف [٢] وصيح بهذه الابيات وخلاك ذمّ [٣]

صدع [٤] النعيُّ وما كنى بجميلِ وثوى [٥] بمصر ثواء غير قفولِ [٦]
ولقد اجرّ الذيل في وادي القرى [٧] نشوان [٨] بين مزارعٍ ونخيلِ
قومي بثينةُ فاندبي بعويلِ وابكي خليلكِ دون كلّ خليلِ

وتوفي سنة ٨٢ هـ ٧٠١ م وفعل صديقهُ حسب وصيتهِ

ولما احسّ المهلّب بن ابي صفرة الأزديّ البصريّ بساعة رحيلهِ عن الدنيا دعا بسهام فحزمت . ثم قال لبنيهِ : اترونكم كاسريها مجتمعة . قالوا : لا . قال : أفترونكم كاسريها مفترقةً . قالوا : نعم . قال : " هكذا الجماعة " وتوفي سنة ٨٣ هـ ٧٠٢ م

ولما شعر عبد الملك بن مروان بالموت قال لابنهِ الوليد : " اذا انا متُّ اياك ان تجلس وتعصر عينيك [٩] كالمرأة الوكعاء [١٠] . لكن ائتزر وشمّر والبس جلد النمر [١١] وضعني في حفرتي وخلّني وشأني وعليك شأنك وادعُ الناس الى بيعتك . فمن قال برأسهِ هكذا [١٢] فقل لهُ بسيفك هكذا [١٣] " — ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية . فقال : " هل عندكما ندامة في بيعة الوليد " — فقالوا : " لا نعرف احدًا احقّ منهُ بالخلافة . فقال " اما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيهِ اعينكما [١٤] " ثم رفع كنار [١٥] فراشهِ فاذا تحتهُ سيف مسلول تحت يمينهِ — كل هذا وروحهُ تتردّد في حنجرتهِ وهو يقول : " الحمد لله الذي لا يبالي اصغيرًا اخذ ام كبيرًا . لا اله الاّ الله محمد رسول الله . ثم بعد ساعة تفدت روحهُ سنة ٨٧ هـ ٧٠٥ م

وقال الاصمعي حسدت عبد الملك على كلمة تكلّم بها عند الموت وهي " اللهمّ ان ذنوبي وان كثرت وجلّت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك فاعفُ عني " اه

ويروى ايضًا انهُ في احتضارهِ في قصرهِ الذي كان يُشرف على بردى نظر فرأى غسّالاً

(١) وعاء الثياب (٢) محلّ مرتفع (٣) دعاء بمعنى لا اتيت ما يستحق الذمّ (٤) كشف و بين (٥) حلّ ونزل (٦) راجع (٧) اسم محلّ (٨) سكران وهائم (٩) كناية عن البكاء (١٠) الحمقاء الوجهاء (١١) كناية عن التصبر والتجلد (١٢) اي اشار برأسهِ اشارة النفي (١٣) كناية عن تجريد السيف والضرب بهِ (١٤) كناية عن الرأس (١٥) حاشية الثوب فارسيّ يريد بهِ الغطاء

يغسل الثياب فقال ليتني كنت مثل هذا الغسّال اكتسب ما اعيش به يوماً بيوم ولم أَلِ[1] الخلافة وتمثل بقول امية

ليتني كنتُ قبل ما قد بدالي في رؤوس الجبال ارعى الوعولا

ولما بلغ قولهُ ابا حازم قال "الحمد لله الذي جعلهم في وقت الموت يتمنون ما نحن فيهِ ولا يجعلنا في احتضارنا نتمنى ما هم فيهِ"

ويروى ان ابن القرّية خطيب العرب المشهور لما دعا الحجاج بن يوسف الثقفي بالسيّاف لقطع رأسهِ استوقفهُ وقال "كلمات اصلح الله الامير كأنهنّ ركب وقوف يكنّ مثلاً بعدي" قال هات : قال "لكل جواد[2] كبوة[3] ولكل صارم[4] نبوة[5] ولكل حكيم هفوة[6]" قال الحجاج ليس هذا وقت المزاح يا غلام اوجب جرحهُ فضرب عنقهُ سنة ٨٤ هـ ٧٠٣ م

ولما اشرف الاخطل الشاعر المشهور على الموت قيل لهُ : يا ابا مالك ألا توصي. قال بلى. ثم انشد يوصي الفرزدق وكان صديقهُ

أوصي الفرزدق عند الممات بأمّ جرير وأغيارها[7]
وزار القبور ابو مالكٍ برغم العداة واوتارها[8]

وتوفي سنة ٩٠ هـ ٧٠٨ م

ولما احتضر ابرهيم النخعيّ الكوفي جزع جزعاً شديداً فقيل لهُ في ذلك فقال "واي خطر اعظم مما انا فيهِ انما اتوقع[9] رسولاً يرد عليّ من ربي اما بالجنة واما بالنار والله لوددت انها تلجلج[10] في حلقي الى يوم القيامة" وتوفي سنة ٩٦ هـ ٧١٤ م

وقال الحجاج بن يوسف الثقفي عند موتهِ : "اللهمّ اغفر لي فانهم يقولون انك لا تغفر لي" وتوفي سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) وكان عمر بن عبد العزيز تعجبهُ هذه الكلمة منهُ و يغبطهُ عليها ولما حكى ذلك للحسن البصري قال اوَ قالها فقيل نعم فقال عسى

وانشد ابن سريج المغني المشهور لما حضرتهُ الوفاة في خلافة سليمان بن عبد الملك

كأني من تذكّر ما ألاقي اذا ما اظلم الليلُ البهيمُ[11]
سقيمٌ ملّ منهُ اقربوهُ واسلمهُ المداوسيه والحميمُ[12]
ستأتي البقية

---

(١) اتقلد واتولّ (٢) حصان كريم (٣) عثرة وسقطة (٤) سيف قاطع (٥) نبا السيف عن الضريبة كلّ عنها وارتدّ ولم يقطع (٦) سقطة وغلطة (٧) بمعنى ضرّائها (٨) جمع وتر وهو بمعنى الثأر (٩) انتظر (١٠) اي تتلجلج اي تتردّد (١١) المظلم (١٢) الصديق